تفسير إبن كثير

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ

يقول تعالى آمرا رسوله ، صلوات الله وسلامه عليه ، ببلاغ الرسالة وتلاوة القرآن على الناس ، ومخبرا له بأنه سيرده إلى معاد ، وهو يوم القيامة ، فيسأله عما استرعاه من أعباء النبوة ; ولهذا قال : (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) أي : افترض عليك أداءه إلى الناس ، (لرادك إلى معاد) أي : إلى يوم القيامة فيسألك عن ذلك ، كما قال تعالى : (فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين) [الأعراف : 6] ، وقال (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم [قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب]) [المائدة : 109] [وقال] : (وجيء بالنبيين والشهداء) [الزمر : 69] .وقال السدي عن أبي صالح ، عن ابن عباس : (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) ، يقول : لرادك إلى الجنة ، ثم سائلك عن القرآن . قال السدي : وقال أبو سعيد مثلها .وقال الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، [و] عن ابن عباس ، رضي الله عنهما : (لرادك إلى معاد) قال : إلى يوم

القيامة . ورواه مالك ، عن الزهري .وقال الثوري ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : (لرادك إلى معاد) : إلى الموت .ولهذا طرق عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، وفي بعضها : لرادك إلى معدنك من الجنة .وقال مجاهد : يحييك يوم القيامة .

وكذا روي عن عكرمة ، وعطاء ، وسعيد بن جبير ، وأبي قزعة ، وأبي مالك ، وأبي صالح .وقال الحسن البصري : أي والله ، إن له لمعادا ، يبعثه الله يوم القيامة ثم يدخله الجنة .وقد روي عن ابن عباس غير ذلك ، كما قال البخاري في التفسير من صحيحه :حدثنا محمد بن مقاتل ، أنبأنا يعلى ، حدثنا سفيان العصفري ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : (لرادك إلى معاد) قال : إلى مكة .وهكذا رواه النسائي في تفسير سننه ، وابن جرير من حديث يعلى - وهو ابن عبيد الطنافسي - به . وهكذا روى العوفي ، عن ابن عباس : (لرادك إلى معاد) أي : لرادك إلى مكة كما أخرجك منها .وقال محمد بن إسحاق ، عن مجاهد في قوله : (لرادك إلى معاد) : إلى مولدك بمكة .قال ابن أبي حاتم : وقد روي عن ابن عباس ، ويحيى بن الجزار ، وسعيد بن جبير ، وعطية ، والضحاك ، نحو ذلك .[

وحدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر قال : قال سفيان : فسمعناه من مقاتل منذ سبعين سنة ،

عن الضحاك] قال : لما خرج النبي - صلى االله عليه وسلم - من مكة ، فبلغ الجحفة ، اشتاق إلى مكة ، فأنزل االله عليه : (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) إلى مكة .وهذا من كلام الضحاك يقتضي أن هذه الآية مدنية ، وإن كان مجموع السورة مكيا ، واالله أعلم .وقد قال عبد الرزاق : حدثنا معمر ، عن قتادة في قوله : (لرادك إلى معاد) قال : هذه مما كان ابن عباس يكتمها ، وقد روى ابن أبي حاتم بسنده عن نعيم القارئ أنه قال في قوله : (لرادك إلى معاد) قال : إلى بيت المقدس .وهذا - واالله أعلم - يرجع إلى قول من فسر ذلك بيوم القيامة ; لأن بيت المقدس هو أرض المحشر والمنشر ، واالله الموفق للصواب .ووجه الجمع بين هذه الأقوال أن ابن عباس فسر ذلك تارة برجوعه إلى مكة ، وهو الفتح الذي هو عند ابن عباس أمارة على اقتراب أجله ، صلوات االله وسلامه عليه ، كما فسره ابن عباس بسورة (إذا جاء نصر االله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين االله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) أنه أجل رسول االله - صلى االله عليه وسلم - نعي إليه ، وكان ذلك بحضرة عمر بن الخطاب ، ووافقه عمر على ذلك ، وقال : لا أعلم منها غير الذي تعلم . ولهذا فسر ابن عباس تارة أخرى

قوله : (لرادك إلى معاد) بالموت ، وتارة بيوم القيامة الذي هو بعد الموت ، وتارة بالجنة التي هي جزاؤه ومصيره على أداء رسالة االله وإبلاغها إلى الثقلين : الجن والإنس ، ولأنه أكمل خلق االله ، وأفصح خلق االله ، وأشرف خلق االله على الإطلاق .وقوله : (قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين) أي : قل - لمن خالفك وكذبك يا محمد من قومك من المشركين ومن تبعهم على كفرهم - قل : ربي أعلم بالمهتدي منكم ومني ، وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار ، ولمن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة .